رسائل التيسير في التفسير

الرسالة الرابعة

في سورة يوسف

تأليف: محمد رفيق مسلاتي

المدينة المنورة

عام ١٤٤٢ للهجرة

•

أقوال العلماء في سورة يوسف في ثلاثة مواضع رئيسة وهي :
أولاً:كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق
ثانياً:وجاؤا على قميصه بدم كذب
ثالثا:نبوة يوسف صغيراً أم كبيرا مع الاختلاف في سنه حين ألقوه في غيابة الجب.
أولاً: في قوله تعالى كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم:

تفسير السعدي:

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ :أي يصطفيك ويختارك بما يمنُّ به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)أي:من تعبير الرؤيا، وبيان ما تئول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها،(وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ٠)

في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، { كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ٠} حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية ، ودنيوية.

{ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٠}أي:علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها.

تفسير البغوي:

قوله عز وجل :(وكذلك يجتبيك ربك)يصطفيك ربك يقوله يعقوب ليوسف أي :كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا ، فكذلك يصطفيك ربك (ويعلمك من تأويل الأحاديث)يريد تعبير الرؤيا ، سمي تأويلا لأنه يئول أمره إلى ما رأى في منامه ، والتأويل

ما يئول إلى عاقبة الأمر (ويتم نعمته عليك)يعني :بالنبوة (وعلى آل يعقوب)أي :على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق)فجعلهما نبيين (إن ربك عليم حكيم).

وقيل : المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة .

وقيل : إنجاؤه من النار ، وعلى إسحاق إنجاؤه من الذبح .

وقيل : بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه وإخوته إليه أربعون سنة ، وهو قول أكثر أهل التفسير .

وقال الحسن البصري : كان بينهما ثمانون سنة . فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا : ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه .

تفسير ابن كثير:

يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده يوسف : إنه كما اختارك ربك ، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك ، (وكذلك يجتبيك ربك)أي :يختارك ويصطفيك لنبوته (ويعلمك من تأويل الأحاديث)قال مجاهد وغير واحد :

يعني تعبير الرؤيا .(ويتم نعمته عليك)أي :بإرسالك والإيحاء إليك;ولهذا قال :(كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وهو الخليل ،)وإسحاق ولده ، وهو الذبيح في قول ، وليس بالرجيح (إن ربك عليم حكيم)أي :[هو]أعلم

حيث يجعل رسالاته ، كما قال في الآية الأخرى.

تفسير القرطبي:

قوله تعالى :(وكذلك يجتبيك ربك)الكاف في موضع نصب ; لأنها نعت لمصدر محذوف، وكذلك الكاف في قوله :(كما أتمها على أبويك من قبل)و (ما)كافة .وقيل :(وكذلك)أي كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك ، ويحسن إليك

بتحقيق الرؤيا.قال مقاتل:بالسجود لك .وقال الحسن :(بالنبوة)والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى ، وأصله من جبيت الشيء أي حصلته ، ومنه جبيت الماء في الحوض ;قاله النحاس .وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام

وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي أتاه الله تعالى ;من التمكين في الأرض ، وتعليم تأويل الأحاديث;وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا.قال عبد الله بن شداد بن الهاد :كان تفسير رؤيا يوسف - صلى الله عليه وسلم - بعد أربعين سنة

وذلك منتهى الرؤيا.وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام ، وهي معجزة له ;فإنه لم يلحقه فيها خطأ .وكان يوسف - عليه السلام - أعلم الناس بتأويلها ، وكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - نحو ذلك ، وكان الصديق رضي الله عنه

من أعبر الناس لها ، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم ، والطبع والإحسان ، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا .

ويعلمك من تأويل الأحاديث أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد ، فهو إشارة إلى النبوة ، وهو المقصود بقوله:(ويتم نعمته عليك)أي بالنبوة.وقيل:بإخراج إخوتك إليك وقيل : بإنجائك من كل مكروه .

(كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم) بالخلة ، وإنجائه من النار.وإسحاق بالنبوة .وقيل :من الذبح ;قاله عكرمة .

وأعلمه الله تعالى بقوله :(وعلى آل يعقوب)أنه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة ;قاله جماعة من المفسرين .

إن ربك عليم بما يعطيك .(حكيم)في فعله بك .

تفسير الطبري:

قال أبو جعفر :يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قصّ عليه رؤياه:(وكذلك يجتبيك ربك)وهكذا يجتبيك ربك .يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمسَ والقمرَ لك سجودًا ، فكذلك يصطفيك ربك،

- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو العنقزي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة:(وكذلك يجتبيك ربك) ، قال: يصطفيك.

- حدثنا بشر ، قال:حدثنا يزيد ، قال:حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله:(وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث)، فاجتباه واصطفاه وعلّمه من عَبْر الأحاديث ، وهو " تأويل الأحاديث ".

وقوله: (ويعلمك من تأويل الأحاديث) يقول: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديثُ الناس، عما يرونه في منامهم. وذلك تعبير الرؤيا . (7)

- حدثنا القاسم ، قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قال: عبارة الرؤيا.

- حدثني يونس ، قال، أخبرنا ابن وهب ، قال، قال ابن زيد ، في قوله: (ويعلمك من تأويل الأحاديث) ، قال: تأويل الكلام: العلم والكلام. (8)

وكان يوسف أعبرَ الناس، وقرأ:وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا . [سورة يوسف : 22].

وقوله: (ويتم نعمته عليك) باجتبائه إياك، واختياره، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث ، (وعلى آل يعقوب)يقول: وعلى أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم (9)، (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق)، باتخاذه هذا خليلا
وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذبح عظيم،
- حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ، في قوله:(ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق)قال:فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى
إسحاق أنْ نجّاه من الذّبح.
وقوله: (إن ربك عليم حكيم) يقول: (إن ربك عليم) بمواضع الفضل ، ومَنْ هو أهلٌ للاجتباء والنعمة ، " حكيم " في تدبيره خلقه (10) .

القول في قوله: وجاؤا على قميصه بدم كذب:

في تفسير السعدي:
ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم. { وَ } مما أكدوا به قولهم، أنهم { جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ } زعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوهم بذلك،
و { قَالَ } { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا } أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال [ومن رؤيا يوسف التي قصّها عليه] ما دلّه على ما قال.

في تفسير البغوي:
(وجاءوا على قميصه بدم كذب) أي : بدم هو كذب ، لأنه لم يكن دم يوسف . وقيل : بدم مكذوب فيه ، فوضع المصدر موضع الاسم .
وفي القصة : أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه ، فقال يعقوب عليه السلام : كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه ؟ فاتهمهم .
(قال بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) معناه : فأمري صبر جميل أو فعلي صبر جميل .
وقيل : فصبر جميل أختاره .
والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع .
(والله المستعان على ما تصفون) أي : أستعين بالله على الصبر ، على ما تكذبون .
وفي القصة : أنهم جاءوا بذئب ، وقالوا : هذا الذي أكله فقال له يعقوب : يا ذئب ، أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي ؟ فأنطقه الله عز وجل ، فقال : تالله ما رأيت وجه ابنك قط .
قال : كيف وقعت بأرض كنعان ؟ .
قال : جئت لصلة قرابة [فصادني هؤلاء] فمكث يوسف في البئر ثلاثة أيام .

تفسير ابن كثير:
(وجاءوا على قميصه بدم كذب) أي : مكذوب مفترى . وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة ، وهو أنهم عمدوا إلى سخلة - فيما ذكره مجاهد ، والسدي

، وغير واحد - فذبحوها ، ولطخوا ثوب يوسف بدمها ، موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب ، وقد أصابه من دمه ، ولكنهم نسوا أن يخرقوه ، فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب ، بل قال لهم معرضا عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من تمالئهم عليه : (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أي : فسأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذي قد اتفقتم عليه ، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه ، (والله المستعان على ما تصفون) أي : على ما تذكرون من الكذب والمحال .

وقال الثوري ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وجاءوا على قميصه بدم كذب) قال : لو أكله السبع لخرق القميص . وكذا قال الشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال مجاهد : الصبر الجميل : الذي لا جزع فيه .

تفسير القرطبي:

الأولى : قوله تعالى بدم كذب قال مجاهد : كان دم سخلة أو جدي ذبحوه . وقال قتادة : كان دم ظبية ; أي جاءوا على قميصه بدم مكذوب فيه ، فوصف الدم بالمصدر ، فصار تقديره : بدم ذي كذب ; مثل : واسأل القرية والفاعل والمفعول قد يسميان بالمصدر ; يقال : هذا ضرب الأمير ، أي مضروبه وماء سكب أي مسكوب ، وماء غور أي غائر ، ورجل عدل أي عادل . وقرأ الحسن وعائشة : " بدم كدب " بالدال غير المعجمة ، أي بدم طري ; يقال للدم الطري الكدب . وحكي أنه المتغير ; قاله الشعبي . والكدب أيضا البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث ; فيجوز أن يكون شبه الدم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللونين .

الثانية : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهي سلامة القميص من التنييب ; إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريق ; ولما تأمل يعقوب - عليه السلام - القميص فلم يجد فيه خرقا ولا أثرا استدل بذلك على كذبهم ، وقال لهم : متى كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف ولا يخرق القميص ! قاله ابن عباس وغيره ; روى إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان الدم دم سخلة . وروى سفيان عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نظر إليه قال كذبتم ; لو كان الذئب أكله لخرق القميص . وحكى الماوردي أن في القميص ثلاث آيات : حين جاءوا عليه بدم كذب ، وحين قد قميصه من دبر ، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا .

قلت : وهذا مردود ; فإن القميص الذي جاءوا عليه بالدم غير القميص الذي قد ، وغير القميص الذي أتاه البشير به . وقد قيل : إن القميص الذي قد هو الذي أتي به فارتد بصيرا ، على ما يأتي بيانه آخر السورة إن شاء الله تعالى . وروي أنهم قالوا له : بل اللصوص قتلوه ; فاختلف قولهم فاتهمهم ، فقال لهم يعقوب : تزعمون أن الذئب أكله ، ولو أكله لشق قميصه قبل أن يفضي إلى جلده ، وما أرى بالقميص من شق ; وتزعمون أن اللصوص قتلوه ، ولو قتلوه لأخذوا قميصه ; هل يريدون إلا ثيابه ؟ ! فقالوا عند ذلك : وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين عن الحسن وغيره ; أي لو كنا موصوفين بالصدق لاتهمتنا .

الثالثة : استدل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها ، وأجمعوا على أن يعقوب - عليه السلام - استدل على كذبهم بصحة القميص ; وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت ، فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح ، وهي قوة التهمة ; ولا خلاف بالحكم بها ، قاله ابن العربي .
قوله تعالى : قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل
فيه ثلاث مسائل :
الأولى : روي أن يعقوب لما قالوا له : فأكله الذئب قال لهم : ألم يترك الذئب له عضوا فتأتوني به أستأنس به ؟ ! ألم يترك لي ثوبا أشم فيه رائحته ؟ قالوا : بلى ! هذا قميصه ملطوخ بدمه ; فذلك قوله تعالى : وجاءوا على قميصه بدم كذب فبكى يعقوب عند ذلك وقال ، لبنيه : أروني قميصه ، فأروه فشمه وقبله ، ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شقا ولا تمزيقا ، فقال : والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت كاليوم ذئبا أحكم منه ; أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزقه عليه ; وعلم أن الأمر ليس كما قالوا ، وأن الذئب لم يأكله ، فأعرض عنهم كالمغضب باكيا حزينا وقال : يا معشر ولدي ! دلوني على ولدي ; فإن كان حيا رددته إلي ، وإن كان ميتا كفنته ودفنته ، فقيل قالوا حينئذ : ألم تروا إلى أبينا كيف يكذبنا في مقالتنا ! تعالوا نخرجه من الجب ونقطعه عضوا عضوا ، ونأت أبانا بأحد أعضائه فيصدقنا في مقالتنا ويقطع يأسه ; فقال يهوذا : والله لئن فعلتم لأكونن لكم عدوا ما بقيت ، ولأخبرن أباكم بسوء صنيعكم ; قالوا : فإذا منعتنا من هذا فتعالوا نصطد له ذئبا ، قال : فاصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم ، وأوثقوه بالحبال ، ثم جاءوا به يعقوب وقالوا : يا أبانا ! إن هذا الذئب الذي يحل بأغنامنا ويفترسها ، ولعله الذي أفجعنا بأخينا لا نشك فيه ، وهذا دمه عليه ، فقال يعقوب : أطلقوه ; فأطلقوه ، وتبصبص له الذئب ; فأقبل يدنو منه ويعقوب يقول له : ادن ادن ; حتى ألصق خده بخده فقال له يعقوب : أيها الذئب ! لم فجعتني بولدي وأورثتني حزنا طويلا ؟ ! ثم قال اللهم أنطقه ، فأنطقه الله تعالى فقال : والذي اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ، ولا مزقت جلده ، ولا نتفت شعرة من شعراته ، ووالله ! ما لي بولدك عهد ، وإنما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقد ، فلا أدري أحي هو أم ميت ، فاصطادني أولادك وأوثقوني ، وإن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش ، وتالله لا أقمت في بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش ; فأطلقه يعقوب وقال : والله لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم ; هذا ذئب بهيم خرج يتبع ذمام أخيه ، وأنتم ضيعتم أخاكم ، وقد علمت أن الذئب بريء مما جئتم به .

تفسير الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى : وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)
قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) ، وسماه الله " كذبًا " لأن الذين جاؤوا بالقميص وهو فيه، كذبوا ، فقالوا ليعقوب: " هو دم يوسف " ، ولم يكن دمه، وإنما كان دم سَخْلةٍ، (10) فيما قيل .
*ذكر من قال ذلك:
- حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري قال، حدثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، في قوله: (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) قال: دم سخلة. (11)

- حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) قال: دم سخلة، شاة.
- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله: (بدم كذب) قال: دم سخلة ، يعني: شاة .
- حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله: (بدم كذب) قال: دم سخلةٍ، شاة.
- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله: (بدم كذب) قال: كان ذلك الدم كذبًا ، لم يكن دمَ يوسف.
- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين ، قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : (بدم كذب) قال: دم سخلة، شاة.
- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله: (بدم كذب) قال: بدم سخلة.
- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال: ذبحوا جديًا من الغنم ، ثم لطّخوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب: إن كان هذا الذئبُ لرحيما! كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟ يا بني، يا يوسف ما فعل بك بنو الإماء!
- حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان الثوري، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) قال: لو أكله السبع لخرق القميص.

أقول وبالله التوفيق وهو المستعان وهو الذي يفتح على عباده:

الصحيح والله أعلم هو ما ذهب إليه ابن كثير رحمه الله تعالى من أن الإجتباء وهو الإصطفاء بالنبوة والرسالة وهي التي أتمها الله على إبراهيم وإسحق وآل يعقوب.وماذهب إليه القرطبي كذلك من أن تلك الرؤية التي رآها يوسف عليه السلام لم تكن أضغاث أحلام وليست إلا إخبار ووحي ليوسف عليه السلام بما سيكون من أمره وأمر أهله ويعقوب عليه السلام في الرأس من الأمر.وهذا ما علمه يعقوب عليه السلام وهو يعلم أن أمر الله نافذ فلذلك أمر يوسف أن لا يخبر إخوته بخبرالرؤية والتي هي إشعار بالنبوة ، وإلا لو كانت رؤيا يوسف عليه السلام مجرد أحلام فلن يكون هنالك سبب ليكيد إخوته له لمجرد رؤيا.وهذا ما جعل يعقوب عليه السلام يأبى أن يصدق كذب إخوة يوسف إذ قالوا أكله الذئب فقال (بل سولت لكم أنفسكم أمراًفصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)لإيمانه المطلق بأن وعد الله حق و والله لا يخلف الميعاد وأن رؤيا يوسف هي رؤيا نبي ورؤيا النبي نبوأة .ولهذا السبب وبهذه الآية كان يعقوب عليه السلام يقول (وأعلم من الله ما لا تعلمون)(فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً)(قالوا تالله تفتأؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين)(يا بني إذهبوا وتحسسوا من يوسف وأخيه) كلها كلمات يقولها يعقوب عليه السلام مؤكداً فيها استسلامه لأمرالله تعالى فيما قضى، و تؤكد علمه بأن يوسف عليه السلام بخير وسوف يأتي تأويل رؤياه التي هي رؤيا نبوة حتمية التحقيق وإن طال الأجل .أما حزنه عليه السلام كان لفراق ولده

حبيبه وحزنه على أبنائه مما فعلوه مع علمه بأنه سيأتي اليوم الذي يسجد له أخوته وأبواه شاء من شاء وأبى من أبى.

أما الخلاف حول سنه حين ألقي به في غيابة الجب فلا أريد أن أخوض فيه أكثر مما ذكره علماؤنا الأفاضل أما قولهم كان في السابعة عشر من العمر، فليس معقولاً ذلك ففي هذا السن كان الأولى به أن يذهب مع إخوته ليستبق معهم ، وإن تركوه عند متاعهم فلن يأكله الذئب وهو فتاً يافعاً قوياً يغالب الذئب ويقتله مع ملاحظة أنه نبي وله رسالة لن يموت قبل أن يبلغها . والله أعلم.

وأما ما ذهب إليه بعض المفسرون وما نقله الطبري أو القرطبي أو ما قيل عن بعض المفسرين والمجتهدين من أن إسحق عليه السلام هو الذبيح فهذا مردود ولا يصح البتة فهو خلاف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا

روى معاوية بن أبي سفيان أن قال :صح أن إعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه،وأما أنا ابن الذبيحين)وهو صحيح أخرجه الزرقاني وجاء في مختصر المقاصد الصفحة او الرقم 11 وقال المحدث صحيح.ورجح القول بأن الذبيح هو اسماعيل الشيخ ابن باز في تعليقه على الزاد وقال عن القول الاخر انه باطل ورجحه ايضا ابن عثيمين والشنقيطي والالباني كما في كتاب تقريب علوم الالباني وهو ظاهر كلام الشيخ ابن جبرين كما في موقعه لما تكلم عن الذبيح ذكراسماعيل.

وأوضح وأثبت بيانا من هذا وذاك ما أشار إليه القرآن الكريم في سورة هود بقوله تعالى(وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحاق يعقوبَ)وهي قراءة حفص بفتح (يعقوبَ)حتى وإن كان عند من قرأ برفع (يعقوبُ)فالأمر سيان فالرفع ليعقوبُ رفع على الفاعل أي ويأتي يعقوب من بعد إسحق.فليس من المعقول في كتاب الله المحكم أن يبشر الله إبراهيم عليه السلام بإسحق ومن ورائه يعقوب ثم يبتليه فيأمره بذبح إسحق ففي هذا تناقض لا ينتمي إلى كتاب الله تعالى ، ولن يقبله إبراهيم عليه السلام ، أكرر كيف يبشر الله إبراهيم بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ثم يأمره لاحقاً بذبح إسحق وهو غلام قبل أن يلد يعقوب هذا منطق ليس من كتاب الله تعالى.وإنما نقل عن الإسرائيليات وعن كعب الأحبار أن يهود يزعمون أن الذبيح هو إسحق.

وأما من رد الخلاف إلى هل الأمر بالذبح كان في مكة أم ببلاد الشام حيث مهجر إبراهيم عليه السلام أولاً من العراق. فمن رأى أن الذبح كان في الشام ويزعم يهود أنه كان في بيت المقدس فقال أن الذبيح هو إسحق، وأما من قال أن الذبح كان بمكة قال أن الذبيح هو إسماعيل وهو أرجح الأقوال لنسبة السعي والنحر وهما من أركان الحج وموقعه في مكة المكرمة إلى عمل إبراهيم عليه السلام الذي هو المصدر الأول في النبوة لقوله تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب).وعلى كل حال فنحن لسنا بصدد البحث والتحقيق فيمن هو الذبيح وإن كان سياق الكلام قد أوصلنا إلى إشارات حول المسألة والله أعلم.

أما قولهم بأن أبناء يعقوب عليه السلام كلهم أنبياء فيصح هذا الكلام بعد أن استغفر لهم أبوهم يعقوب فالمكيدة التي رسموها ليوسف والكذب على يوسف لا يصدر من أنبياء مطلقاً لعصمتهم، وهذا يرجح أن نبوتهم بعد توبة الله عليهم وهو الغفور الودود.

معالم السورة وإضاءتها:

حين نقرأ سورة يوسف تشغلها أحداث قصته عن أمرمهم جداً في القصة وهي إنقاذ الله تعالى بحكمته الأمة يومئذ من الهلاك بالمجاعة بسياق القصة ابتداءً من الرؤيا حتى مكن الله سبحانه ليوسف في الأرض وجعله على خزائنها ليعبر بأمته محنة القحط والسنين السبع العجاف فيتولى أمرها رسول ونبي صالح حفيظ أمين.

ومن معالم تلك السورة العظيمة :

الإيمان والرضا بالقدر من أبرز سمات سورة يوسف.لأن يعقوب عليه السلام كان يعلم أن ابنه يوسف نبياً نبئ عن صغر.وكذلك كان يعلم من الله سبحانه أن قدراً في اللوح المحفوظ يقضي بأن يكيد إخوة يوسف لأخيهم وأنه سيغيب عنه زمناً طويلاً إبتلاء من الله فيصبر هو على فراق حبيبه، ويصبر يوسف على البلاء لحكمة أرادها المولى عز وجل مآلها الخير للأمة جميعها وليوسف وإخوته وليعقوب نفسه. وكذلك ليبين الله لعباده أنه غالب على أمره وأن قضاءه مبرم لا مناص منه وأنه وإن بدا للناس في قضاء الله ما يظنونه شراً بل الله لا يريد لعباده إلا الخير وإن كانوا لا يدركونه ولا يحيطون بعلم الله شيئاً. وليبين الله للناس البناء النفسي الذي جبلت عليه النفس أمارةٌ بالسوء وأن العباد عليهم رد السوء والعمل بالخيروأنه من يصبر ويتق فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ومن الإضاءات في تلك السورة أنه إذا أراد الله أمراً وسخر له من عباده فإنه قد يترك لهم باب التوبة مفتوحاً و لا يعاقبهم على فعلهم لأنهم كانوا جنوداً بإذن الله لهذا قبل توبة إخوة يوسف كما قبلها منهم أبوهم يعقوب وقال سأستغفر لكم ربي مع أن ما فعلوه بيوسف يعدّ جريمة كبرى ثم كذبوا عليه حين أتهموه بالسرقة. ولما كان يعلم من قبل ما فعلوه بيوسف، إلا أنه خشي عليهم حين أمرهم بأن لا يدخلوا من باب واحدةٍ خشيةً عليهم من الحسد أو ما قد يكون دبر لهم من كيد.لهذا فإن الإنسان قد يظلمه شخص ما أو يؤذيه ثم لا يجد الله تعالى قد انتقم منه فوراً لأن لكل مخلوق أجل، وهذا الذي ظلمك مرتبط بعلاقات عنكبوتية مع آخرين قد يحسن إليهم أو أن يكون الله تعالى قد أذن لهذا العبد أن يوقع عليك مظلمة لحكمة منه سبحانه لعلك تتوب من معصية أو تصبر فيرفع الله درجاتك أو يحيل أذيته لك نجاحاً وفوزاً بسبب ما وقع عليك ثم قد يأذن الله لذلك الظالم بالتوبة عن ظلمه فكل غيب عند الله مفاتحه.

ومن الإضاءات أن الملك في تلك الفترة كان مؤمناً وكذلك معظم قومه ألم يقل لزوجه (واستغفري لذنبك)ألم يكن في كلام إمرأة العزيز ما يظهر الإيمان الكامل بالله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين).(وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي إن ربي غفور رحيم).

كما أن من الإضاءات أن قصة يوسف لم تكن في عهد الفراعنة أو أحد من الفراعنة ..للإيمان الواضح في حديث الملك وحديث إمرأة العزيز.أو ربما كان ذلك قبل أن يظهر الفراعنة أو يظهر كفرهم كما يزعم علماء التاريخ ولست معهم فيما قالوا.

ويبقى السؤال معلقاً إذا كان الملك وقومه مؤمنين وموحدين فلا بد أن يكونوا على ملة إبراهيم عليه السلام فكيف لم تكن لهم علاقة مع يعقوب عليه السلام وهو حفيد إبراهيم ، ومن هو الملك ولماذا يعقوب وبنوه يسكنون البدو وأي بادية هي التي أقاموا فيها. هنالك حلقة مفقودة في تاريخ بني إسرائيل حول يوسف عليه السلام فقد ذكر الله تعالى أنه رسول إلى بني إسرائيل أي قوم يعقوب عليه السلام قال تعالى على لسان موسى عليه السلام(ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا)سورة غافر. وبما أن يوسف رسول لبني إسرائيل فلا

بد أن مهمة الرسالة بدأت بعد إلتحاق أهله به...أين كان هذا ؟ بمصر أم بالشام أم بالعراق ؟
ومن الإضاءات جواز الحيلة والمكيدة لغير المؤمنين لإظهار الحق كما فعل يوسف ليأخذ أخاه
وكذلك أن بعض الأحكام إن نسخت فلا يجوز العمل بها مثل قولهم : فمن وجد في رحله فهو جزاءه...فجزاء السارق في الإسلام قد اختلف
ومن الإضاءات جواز أن يزكي الإنسان نفسه إن كان صادقاً لتولي منصب هو أحق من غيره فيه لإقامة العدل والحكم بالحق وبالإسلام إذ قال يوسف عليه السلام(إجعلني على خزائن الإرض إني حفيظ عليم)
أي يحفظ الأمانة وهو عليم بإدارة المهمة
أراد الله سبحانه بحكمته أن يوصل يوسف إلى إدارة خزائن الأرض لأنه هو القادر بإذنه تعالى أن يخرج البلاد بعلمه وأمانته من كارثة القحط فأنظر إلى عظيم حكمة الله وآلائه البينات في سورة يوسف
وأختم بالصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد رفيق مسلاتي.